

The Word for Today	الكلمة لهذا اليوم
Matthew 5:13-21	إنجيل متى 5: 13-21
wt_us03_0121_c25	الحلقة الإذاعية رقم: 6
Pastor Chuck Smith	الرّاعي تشكّ سميث

[المُقدِّمة]

(مُقدِّم البرنامج)

أهلاً ومرحباً بك صديقي المُستمع في حلقةٍ جديدةٍ من البرنامج الإذاعي ”الكلمة لهذا اليوم“. وننتقل مباشرةً إلى الرّاعي ”تشكّ سميث“.

[المُقدِّمة]

(الرّاعي ”تشكّ سميث“)

إن لم يكن للكنيسة تأثيرٌ مُطهرٌ في المُجتمع الذي تُوجدُ فيه، فهذا يعني أنّها لا تصلحُ لشيءٍ. فالكنائسُ التي تسعى إلى الوجودِ كمراكزٍ اجتماعيةٍ فقط لا تُحققُ قصدَ الله الخالق. فينبغي للكنيسة أن تُترك تأثيراً فعّالاً في المُجتمع.

(مُقدِّم البرنامج)

إنّ العظة على الجبل ترسمُ صورةً شعريّةً للحياة مع المسيح. لكن يجدرُ التنويه إلى أنّه لا يُمكنُ لغير المؤمنين أن يطبقوا هذه الوصايا والتّعليمات. وحتى لو كنّا نُؤمنُ بالوداعة ونقاء القلب، فإنّ هذا وحده لا يضمنُ لنا حياةً سهلةً أو خاليةً من المتاعب. وكما سنّتعلمُ اليوم، فإنّ دورَ الكنيسة في المُجتمع المعاصر وتأثيرها في النّفاقة لا يتحقّق إلا من خلال اتّباعنا للسيد المسيح.

والآن، أترُككمُ أعزّاءنا المُستمعين مع الرّاعي ”تشكّ سميث“، ومع درسٍ جديدٍ من إنجيل متى بدءاً بالأصحاح الخامس والعدد 13:

[العظة]

(الرّاعي ”تشكّ سميث“)

والآن، يُعلنُ الربُّ يسوعُ تأثيرَ أولادِ الله على الأرض فيقول:

”أنتم ملحُ الأرض ...“.

كان الملحُ في تلك الأيّام يُستخدَمُ بصورةٍ أساسيةٍ لحفظِ الأطعمة. فعندما كانوا يدبّحون المواشي، كانوا يملحون اللحم الذي لا يعترزون طهوه فوراً تمليحاً جيّداً لحفظه من الفساد. فالملحُ

يُقضى على البكتيريا التي تعيشُ على الطبقة السطحية من اللحوم ويحفظها من العفن والفساد. ويسوغُ يقول لتلاميذه: أنتم لكم تأثيرٌ حافظٌ في العالم الذي تعيشون فيه. أنتم تُؤدون دوراً حافظاً. أنتم ملح الأرض لأنكم تحفظونها من الفساد. ومن المؤكد أن المسيحية الحقة تُؤدي دوراً حافظاً في كلِّ مجتمَع تُوجدُ فيه. ففي كلِّ مكانٍ يُوجدُ فيه تأثيرٌ مسيحيٌ قويٌّ، وصوتٌ مسيحيٌ قويٌّ، فإنَّ المُجتمَع يكونُ محفوظاً ومُصاناً. أمّا إذا بدأ الصوتُ المسيحيُّ يتلاشى من أيِّ مكانٍ، فسوفَ يبدأُ المُجتمَع بالتقهُّر إلى أن يُقضى عليه تماماً.

فإنَّ ألقيتَ عزيزي المُستمع نظرةً على التاريخ، فسوفَ تلاحظُ التأثيرَ الحافظَ للمسيحية. فطالما أنَّها حافظتُ على قوتها وتأثيرها، فإنَّ المُجتمَع يبقى قوياً ومؤثراً. فإذا نظرتَ إلى أيِّ بلدٍ قامَ على المبادئ المسيحية، وصاغَ دستورَهُ على القيمِ المسيحية، فسوفَ تلاحظُ أنَّ هناكَ حريةَ عبادة، وحريةَ اجتماع، وحريةَ تعبير. أمّا إذا بدأ الصوتُ المسيحيُّ يتلاشى ولمَّ يعدْ للمسيحية تأثيرٌ على المُجتمَع، فسوفَ تبدأُ القوى الشريرةُ بفرضِ هيمنتها وطغيانها على هذا البلدِ وهذا المُجتمَع.

فعلَى سبيل المثال، قالَ أحدُ أفرادِ الشرطةِ في بلدٍ ما إنهم عندما يُهاجمونَ وكراً للعصابات التي تعملُ في تروبيج المخدراتِ أو الأفلام الإباحية أو غيرها، أو عندما يحققون في جريمة قتل، فعالباً ما يعثرون في المكان على عددٍ كبيرٍ من المواد التي تُستخدمُ في عبادة الشيطان وأعمال الظلمة. وهذا إن دلَّ على شيءٍ، فإنما يدلُّ على أننا نخوضُ حرباً رُوحيةً.

فالأمرُ لا يقتصرُ على أن النَّاسَ يفعلونَ أموراً كهذه من بابِ التسلية، بل إنَّ جذورَ هذه الأفكارِ والسلوكياتِ المُحرَفةِ تعودُ إلى الشيطان. فكما يقولُ الكتابُ المقدَّسُ، فإنَّ "مُصارعَتنا ليستَ معَ دمٍ ولحمٍ، بل معَ الرؤساءِ، معَ السلاطينِ، معَ ولاةِ العالمِ على ظلمةِ هذا الدهرِ، معَ أجنادِ الشرِّ الرُوحيةِ في السماوياتِ"،¹ وإنَّ لمَّ ننسبِ إلى هذه الحقيقةِ جيِّداً، فلنَّ نكونَ مُستعدينَ لهذه المعركة. فإنَّ لمَّ ندركَ حقيقةَ الصراعِ الرُوحِيِّ الدائرِ في الكونِ، فسوفَ نحاولُ خوضَ هذه المعركةِ الروحيةِ بالأسلحةِ التقليديَّة. لكنَّ حاجتنا الأساسية هي أن نجتوا أمامَ اللهِ القدُّوسِ، وأنَّ نبدأَ بالصلاةِ وطلبِ القوةِ والنهضةِ الروحيةِ من اللهِ القادرِ على كلِّ شيءٍ لكي نُعيدَ مُجتمعاتنا إلى طريقِ الربِّ. فالمعركةُ التي نخوضها هي معركةٌ رُوحيةٌ شرسةٌ. والقوى التي نحاربها هي قوى شيطانية. والأسلحةُ التي ينبغي أن نستخدمها هي ليستَ طائراتٍ ولا دبَّاباتٍ، بل هي أسلحةُ رُوحيةٌ قادرةٌ بقوةِ اللهِ العليِّ القديرِ على هدمِ حصونِ العدوِّ. أجلُّ يا صديقي، فهذه هي قوَّةُ الصلاةِ. لهذا، ينبغي لنا أن نُصليَ أكثرَ فأكثرَ.

أنتم ملحُ الأرض. أنتم تُؤدون دوراً حافظاً في مُجتمعاتكم. لكنَّ إنَّ فقدَ الملحُ خواصَّهُ، فلنَّ يعودَ قادراً على القيامِ بدوره. بعبارةٍ أخرى، فإنَّهُ لا يصلحُ لشيءٍ. لهذا، فقدَّ قالَ الربُّ يسوعُ:

¹ أفسس 6: 12.

”أَنْتُمْ مِلْحُ الْأَرْضِ، وَلَكِنْ إِنْ فَسَدَ الْمِلْحُ فِيمَاذَا يُمْلَحُ؟ لَا يَصْلُحُ بَعْدَ لِسْيَةٍ، إِلَّا لِأَنْ يُطْرَحَ خَارِجًا وَيُدَاسَ مِنَ النَّاسِ“.

فَعِنْدَمَا كَانَ الْمِلْحُ يَفْسُدُ وَلَا يَعُودُ صَالِحًا لِلِاسْتِخْدَامِ، كَانَ النَّاسُ يَطْرَحُونَهُ فِي الطَّرِيقَاتِ لِكَيْ يَذُوبَ تَحْتَ أَقْدَامِ النَّاسِ أَوْ يَفْعَلَ الْأَمْطَارُ. لِهَذَا، فَإِنَّ مَا قَصَدَهُ يَسُوعُ هُوَ الْآتِي: ”يَجِبُ عَلَى الْكَنِيسَةِ أَنْ تَكُونَ مِلْحًا لِلْأَرْضِ. فَإِنْ لَمْ تَكُنْ مِلْحًا لِلْأَرْضِ، فَهِيَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ إِلَّا لِأَنْ تُطْرَحَ خَارِجًا وَيُدَاسَ مِنَ النَّاسِ“. لِذَلِكَ، عِنْدَمَا قَالَ يَسُوعُ ”أَنْتُمْ مِلْحُ الْأَرْضِ“، فَإِنَّهُ لَمْ يَقْصِدْ فَقَطْ أَنْ يَضَعَ تَحْدِيثًا أَمَامَ الْكَنِيسَةِ، بَلْ كَانَ يُوجِّهُ لَهَا إِذَارًا وَتَحذِيرًا. فَإِنَّ لَمْ تَقُمْ الْكَنِيسَةُ بِالذَّوْرِ الَّذِي أَوْكَلَهُ اللَّهُ الْقَدِيرُ إِلَيْهَا، فَسَوْفَ يُدَاسُ مِنَ النَّاسِ. ثُمَّ يَتَابِعُ يَسُوعُ كَلَامَهُ قَائِلًا فِي إِجْبِلِ مَتَّى 5: 14:

”أَنْتُمْ نُورُ الْعَالَمِ ...“.

كَانَ التَّلَامِيذُ يُحِيطُونَ بِمُعَلِّمِهِمْ. فَقَدْ كَانَ هُنَاكَ بَطْرُسُ وَيُوحَنَّا وَيَعْقُوبُ وَآخَرُونَ. وَكَانَ بَعْضُ هَؤُلَاءِ التَّلَامِيذِ صَيَّادِي سَمَكٍ. وَلَمْ يَكُونُوا وَأَسْعَى الْإِطْلَاعِ. وَكَانَ يَسُوعُ يَجْلِسُ هُنَاكَ بِالْقُرْبِ مِنْ بَحْرِ الْجَلِيلِ الْبَعِيدِ عَنْ عَاصِمَةِ الثَّقَافَةِ وَالْحَضَارَةِ آنَذَاكَ؛ أَيَّ عَنْ رُومًا، وَالْبَعِيدِ عَنِ الثَّقَافَةِ الْيُونَانِيَّةِ الْعَرِيقَةِ فِي أَثِينَا. وَعَلَى مَسَامِعِ هَؤُلَاءِ التَّلَامِيذِ الْبُسْطَاءِ، قَالَ يَسُوعُ: ”أَنْتُمْ نُورُ الْعَالَمِ!“، فَيَا لِلرَّوْعَةِ! وَعَلَى يَسُوعَ قَصْدًا أَنْ يُشِيرَ إِلَى مَدِينَةِ ”صَفَد“ الْوَاقِعَةِ عَلَى التَّلَالِ الْمُطْبِئَةِ عَلَى الْجَلِيلِ عِنْدَمَا قَالَ:

”لَا يُمَكِّنُ أَنْ تُخْفَى مَدِينَةٌ مَوْضُوعَةٌ عَلَى جَبَلٍ وَلَا يُوقِدُونَ سِرَاجًا يَضَعُونَهُ تَحْتَ الْمِكْيَالِ، بَلْ عَلَى الْمَنَارَةِ فَيُضِيءُ لِجَمِيعِ الدِّينِ فِي الْبَيْتِ“.

وَلِتَوْضِيحِ الْقَصْدِ مِنْ قَوْلِ يَسُوعَ هَذَا، نُورِدُ هَذِهِ الْقِصَّةَ عَنْ شَابٍّ قِيلَ يَسُوعَ رَبًّا وَمُخْلِصًا لِحَيَاتِهِ. وَكَانَ هَذَا الشَّابُّ عَازِمًا عَلَى الدَّهَابِ إِلَى مُخَيِّمِ صَيْفِيٍّ مَعَ شُبَّانٍ بَعِيدِينَ عَنِ الرَّبِّ. وَقَدْ تَحَدَّثَ الشَّابُّ مَعَ رَاعِي كَنِيسَتِهِ وَصَلَّيَا مَعًا لِكَيْ يَقْضِيَ عَطْلَهُ مُمْتَعَةً وَيَكُونَ قَوِيًّا فِي الرَّبِّ وَبَرَكَةً لِلشُّبَّانِ الْآخَرِينَ. وَعِنْدَمَا عَادَ الشَّابُّ الْمُؤْمِنُ مِنَ الْمُخَيِّمِ الصَيْفِيِّ، سَأَلَهُ رَاعِي الْكَنِيسَةِ: ”كَيْفَ سَارَ الْأَمْرُ؟“ فَقَالَ الشَّابُّ: ”لَقَدْ سَارَ كُلُّ شَيْءٍ عَلَى مَا يُرَامُ. فَلَمْ يَعْلَمْ أَحَدٌ أَنِّي مُؤْمِنٌ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ“. وَهَذَا هُوَ حَالُ الْكَثِيرِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. لَكِنَّ الرَّبَّ يَسُوعَ قَالَ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَا يُشْعَلُ شَمْعَةً وَيَضَعُهَا فِي مَكَانٍ مَخْفِيٍّ، بَلْ يَضَعُهَا فِي مَكَانٍ عَالٍ وَبَارِزٍ لِكَيْ تُنِيرَ الْمَكَانَ كُلَّهُ. فَالْهَدَفُ الْوَحِيدُ لِلنُّورِ هُوَ أَنْ يُنِيرَ الظُّلْمَةَ. وَالْقَصْدُ الَّذِي وَضَعَهُ اللَّهُ الْخَالِقُ لِحَيَاتِكَ هُوَ أَنْ تَكُونَ نُورًا لِلْعَالَمِ الْمُظْلَمِ الَّذِي تَعِيشُ فِيهِ.

وَهُنَاكَ طَرِيقَةٌ تَجْعَلُكَ تُضِيءُ فِي الْعَالَمِ الَّذِي تَعِيشُ فِيهِ. بَلْ هُنَاكَ فِي حَقِيقَةِ الْأَمْرِ طَرِيقٌ كَثِيرَةٌ يُمَكِّنُكَ أَنْ تُضِيءَ فِيهَا فِي هَذَا الْعَالَمِ. لَكِنَّ الرَّبَّ يَسُوعَ ذَكَرَ لِتِلْمِيذِهِ طَرِيقَةً وَاحِدَةً فَقَالَ:

”فَلْيُضِيءِ نُورُكُمْ هَكَذَا فُذَامَ النَّاسِ، لِكَيْ يَرَوْا أَعْمَالَكُمْ الْحَسَنَةَ، وَيَمَجِّدُوا أَبَاكُمْ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ“.

وبالطبع، قَدْ يَلْجَأُ الْمَرءُ إِلَى إِضَاءَةِ نُورِهِ لِكَي يَرَى النَّاسُ أَعْمَالَهُ الْحَسَنَةَ فَيَمْدَحُوهُ وَيَمَجِّدُوهُ قَائِلِينَ: ”يَا لِلرَّوَعَةِ! هَلْ رَأَيْتَ هَذَا؟ هَلْ سَمِعْتَ بِمَا فَعَلَهُ فُلَانٌ؟“، فَهُنَاكَ طَرُقٌ عَدِيدَةٌ يُمَكِّنُنَا مِنْ خِلَالِهَا أَنْ نَقُومَ بِالْأَعْمَالِ الْحَسَنَةِ بِهَدَفٍ جَدَّبَ الْأَنْظَارَ إِلَى أَنْفُسِنَا وَتَمَجِّيدِ دَوَاتِنَا. فَطَبِيعَتُنَا الْخَاطِئَةُ تَدْفَعُنَا دَوْمًا إِلَى الْبَحْثِ عَنِ طَرُقٍ نُمَجِّدُ فِيهَا أَنْفُسَنَا. فَمِنْ السَّهْلِ عَلَيْكَ أَنْ تَكُونَ بَطْلًا أَمَامَ مَجْمُوعَةٍ كَبِيرَةٍ مِنَ النَّاسِ. وَمِنْ السَّهْلِ عَلَيْكَ أَنْ تَقُومَ بِبَعْضِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ عِنْدَمَا تَكُونُ أَعْيُنُ النَّاسِ مُسَلَّطَةٌ عَلَيْكَ. لَكِنْ مَاذَا عَنِ الْأَوْقَاتِ الَّتِي لَا يُرَاقِبُكَ فِيهَا النَّاسُ؟ وَمَاذَا لَوْ لَمْ يَعْلَمْ أَحَدٌ بِمَا تَقُومُ بِهِ فِي الْخَفَاءِ؟ فَهَلْ سَيَخْتَلِفُ الْأَمْرُ؟ فَتَحْنُ نَمِيلُ بِطَبِيعَتِنَا إِلَى سَمَاعِ عِبَارَاتِ الْمَدِيحِ وَالْإِطْرَاءِ مِنَ النَّاسِ. لَكِنَّ يَسُوعَ يُوصِينَا هُنَا قَائِلًا: ”فَلْيُضِي نُورُكُمْ هَكَذَا قُدَّامَ النَّاسِ، لِكَي يَرَوْا أَعْمَالَكُمْ الْحَسَنَةَ، وَيَمَجِّدُوا أَبَاكُمْ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ“.

فَنَحْنُ نُلَاحِظُ أَثْنَاءَ دِرَاسَتِنَا عَنْ خِدْمَةِ الرَّبِّ يَسُوعَ فِي الْأَنْجِيلِ، أَنَّ الْأَشْخَاصَ الَّذِينَ كَانُوا يَأْتُونَ إِلَيْهِ وَيُنَالُونَ الشِّفَاءَ مِنْهُ، كَانُوا يُغَادِرُونَ الْمَشْهَدَ وَهُمْ ”يَمَجِّدُونَ اللَّهَ“. فَقَدْ كَانَ يَسُوعُ يَفْعَلُ كُلَّ شَيْءٍ بِطَرِيقَةٍ تَجْعَلُ النَّاسَ الْحَاضِرِينَ يَمَجِّدُونَ اللَّهَ الْأَبَّ. لِذَلِكَ، فَإِنَّ الْحَيَاةَ الْمَسِيحِيَّةَ هِيَ حَيَاةٌ مُتْرَنَةٌ. فَمِنْ جِهَةٍ، أَنْتَ تُورُ الْعَالَمَ. وَمِنْ جِهَةٍ أُخْرَى، يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَجْعَلَ نُورَكَ يُضِيءُ قُدَّامَ النَّاسِ مِنْ خِلَالِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الَّتِي تَقُومُ بِهَا لَا لِكَي يَمَجِّدُوكَ أَنْتَ، وَلَا لِكَي يُثْنُوا عَلَيْكَ أَنْتَ؛ بَلْ لِكَي يُسَبِّحُوا أَبَاكَ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ وَيَمَجِّدُوهُ.

وَالآنَ، يَنْتَقِلُ السَّيِّدُ الْمَسِيحُ إِلَى مَقْطَعٍ آخَرَ مِنَ الْعِظَةِ عَلَى الْجَبَلِ فَيَتَحَدَّثُ عَنْ عِلَاقَةِ الْمُؤْمِنِ الْمَسِيحِيِّ بِالنَّامُوسِ (أَوْ الشَّرِيعَةِ) فَيَقُولُ حَسَبَ مَا جَاءَ فِي إِنْجِيلِ مَتَّى 5: 17:

”لَا تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لِأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوْ الْأَنْبِيَاءَ.
مَا جِئْتُ لِأَنْقُضَ بَلْ لِأَكْمَلَ“.

فَقَدْ كَانَ عِقَابُ عَصِيانِ النَّامُوسِ هُوَ الْمَوْتُ. وَقَدْ جَاءَ يَسُوعُ لِكَي يُتِمَّ النَّامُوسَ مِنْ خِلَالِ مَوْتِهِ بِسَبَبِ عَصِيَانِنَا نَحْنُ. أَجَلْ يَا صَدِيقِي! فَقَدْ جَاءَ يَسُوعُ لِكَي يُتِمَّ نُبُوءَاتِ الْأَنْبِيَاءِ إِذْ نَقَرْنَا فِي سِفْرِ إِشْعِيَاءِ النَّبِيِّ: ”كُلُّنَا كَغَنَمٍ ضَلَلْنَا. مَلْنَا كُلَّ وَاحِدٍ إِلَى طَرِيقِهِ، وَالرَّبُّ وَضَعَ عَلَيْهِ إِثْمَ جَمِيعِنَا“.² لِذَلِكَ، فَهُوَ يَقُولُ هُنَا إِنَّهُ لَمْ يَأْتِ لِیَنْقُضِ النَّامُوسَ، بَلْ لِیُكْمَلَهُ. لِهَذَا، فَقَدْ كَتَبَ الرَّسُولُ بُولُسُ: ”لِأَنَّ غَايَةَ النَّامُوسِ هِيَ: الْمَسِيحُ لِلْبَرِّ لِكُلِّ مَنْ يُؤْمِنُ“ (أَوْ كَمَا جَاءَ فِي التَّرْجُمَةِ التَّفْسِيرِيَّةِ: ”فَإِنَّ غَايَةَ الشَّرِيعَةِ هِيَ الْمَسِيحُ لِتَبْرِيرِ كُلِّ مَنْ يُؤْمِنُ“).³ فَالسَّيِّدُ الْمَسِيحُ هُوَ الَّذِي أَتَاخَ لَنَا أَنْ نَكُونَ فِي شَرَكَةٍ عَمِيقَةٍ مَعَ اللَّهِ الْعَظِيمِ. فَايْمَانُنَا بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ هُوَ أُسَاسُ تَبْرِيرِنَا أَمَامَ اللَّهِ الْفُؤُوسِ لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي أَكْمَلَ النَّامُوسَ. فَهُوَ لَمْ يَأْتِ لِیَنْقُضِ النَّامُوسَ، بَلْ جَاءَ لِتَحْقِيقِ مُتَطَلِّبَاتِ النَّامُوسِ نِيَابَةً عَنَّا مِنْ خِلَالِ مَوْتِهِ لِأَجْلِنَا. ثُمَّ يُكْمِلُ يَسُوعُ حَدِيثَهُ قَائِلًا فِي إِنْجِيلِ مَتَّى 5: 19:

² إشعيا 6: 6.

³ رومية 10: 4.

”فَإِنِّي أَحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِلَى أَنْ تَرُؤُلَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ لَا يَزُولُ حَرْفٌ وَاحِدٌ
أَوْ نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ النَّامُوسِ حَتَّى يَكُونَ الْكُلُّ“.

ويُشيرُ ”الحَرْفُ“ وَ ”النُّقْطَةُ“ هُنَا إِلَى أَصْغَرَ الحُرُوفِ وَالْحَرَكَاتِ فِي الأَبْجَدِيَّةِ العِبْرِيَّةِ. وَيَسْتَخْدِمُ السَيِّدُ المَسِيحُ هَذَا التَّشْبِيهَ لِيُوكِّدَ بوضوح تامٍّ عَلَى أَنَّهُ لَا يَزُولُ حَرْفٌ مِنَ النَّامُوسِ أَوْ نُقْطَةٌ مِنْهُ حَتَّى يَتِمَّ كُلُّ شَيْءٍ. وَالآنَ، نَنْتَقِلُ إِلَى العَدَدِ 19:

”فَمَنْ نَقَضَ إِحْدَى هَذِهِ الوَصَايَا الصُّغْرَى وَعَلَّمَ النَّاسَ هَكَذَا، يُدْعَى أَصْغَرَ
فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ. وَأَمَّا مَنْ عَمِلَ وَعَلَّمَ، فَهَذَا يُدْعَى عَظِيمًا فِي مَلَكُوتِ
السَّمَاوَاتِ“.

فَفِي أَحَدِ الأَيَّامِ، طَرَحَ أَحَدُ الفَرِيسِيِّينَ السُّؤَالَ التَّالِيَّ عَلَى يَسُوعَ: ”يَا مُعَلِّمُ، أَيَّةُ وَصِيَّةٍ هِيَ
العُظْمَى فِي النَّامُوسِ؟“ فَأَجَابَهُ يَسُوعُ: ”تُحِبُّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ، وَمِنْ
كُلِّ فِكْرِكَ. هَذِهِ هِيَ الوَصِيَّةُ الأُولَى وَالْعُظْمَى“. ثُمَّ أَكْمَلَ يَسُوعُ قَائِلًا: ”وَالثَّانِيَةُ مِثْلُهَا: تُحِبُّ
قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ. بِهَاتَيْنِ الوَصِيَّتَيْنِ يَتَعَلَّقُ النَّامُوسُ كُلُّهُ وَالْأَنْبِيَاءُ“.⁴ إِذَا، يُمَكِّنُ تَلْخِيصُ الشَّرِيعَةِ
وَالْأَنْبِيَاءِ بِهَاتَيْنِ الوَصِيَّتَيْنِ: أَنْ تُحِبَّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَأَنْ تُحِبَّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ.

وَقَدْ قَالَ الرَّسُولُ بُولُسُ: ”المُحَبَّةُ هِيَ تَكْمِيلُ النَّامُوسِ ... لِأَنَّ مَنْ أَحَبَّ غَيْرَهُ فَقَدْ أَكْمَلَ
النَّامُوسَ“.⁵ وَتَحْنُ نَعْلَمُ صَدِيقِي المُسْتَمِعِ أَنَّ غَالِبِيَّةَ الوَصَايَا العَشْرَ وَرَدَّتْ بِصِيغَةِ النَّهْيِ:
”لَا تَقْتُلْ ... لَا تَزْنِ ... لَا تَسْرِقْ“. لَكِنَّ يَسُوعَ تَحَدَّثَ هُنَا بِصِيغَةٍ إِبْجَابِيَّةٍ فَقَالَ: ”تُحِبُّ الرَّبَّ
إِلَهَكَ ...“ وَ ”تُحِبُّ قَرِيبَكَ“. لَكِنَّ مَا الَّذِي يَتَرْتَّبُ عَلَى إِطَاعَةِ أَبْنَاءِ المَلَكُوتِ أَوْ عِصْيَانِهِمْ إِحْدَى
هَذِهِ الوَصَايَا الصُّغْرَى؟ لَقَدْ لَخَّصَ يَسُوعُ الأَمْرَ بِالقَوْلِ: ”مَنْ نَقَضَ إِحْدَى هَذِهِ الوَصَايَا الصُّغْرَى
وَعَلَّمَ النَّاسَ هَكَذَا، يُدْعَى أَصْغَرَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ. وَأَمَّا مَنْ عَمِلَ وَعَلَّمَ، فَهَذَا يُدْعَى عَظِيمًا
فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ“.

ثُمَّ يُتَابِعُ يَسُوعُ حَدِيثَهُ فَيَقُولُ كَلِمَاتٍ مِنَ المُؤَكِّدِ أَنَّهَا صَعَقَتِ التَّلَامِيذَ؛ إِذْ نَفَرُوا فِي إِنْجِيلِ
مَتَّى 5: 20 عَلَى لِسَانِ السَيِّدِ المَسِيحِ:

”فَإِنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّا لَمْ يَزِدْ بِرُكْمٍ عَلَى الكِتَابَةِ وَالْفَرِيسِيِّينَ
لَنْ تَدْخُلُوا مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ“.

أَجَل! مَا مِنْ شَكٍّ أَنَّ هَذِهِ الكَلِمَاتِ شَكَّلَتْ صَدْمَةً قَوِيَّةً لِتَلَامِيذِ يَسُوعَ. فَبِحَسَبِ مَفْهُومِهِمْ، لَمْ
يَكُنْ هُنَاكَ شَخْصٌ يَزِيدُ فِي بَرِّهِ عَنِ الكِتَابَةِ وَالْفَرِيسِيِّينَ لِأَنَّ هَؤُلَاءِ كَانُوا يَعِيشُونَ لِهَذَا الغَرَضِ.
لَكِنَّ يَسُوعَ يَقُولُ لَهُمْ إِنَّهُ يَتَوَقَّعُ مِنْهُمْ أَنْ يَكُونُوا أَكْثَرَ بَرًّا مِنْ هَؤُلَاءِ الأَشْخَاصِ أَنْ أَرَادُوا أَنْ
يَدْخُلُوا مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ. وَفِيمَا هُمْ ذَاهِلُونَ وَمُتَحَيِّرُونَ، وَاصَلَ يَسُوعُ حَدِيثَهُ قَائِلًا فِي العَدَدِ 21:

⁴ إنجيل متى 22: 34-39

⁵ رومية 13: 10؛ رومية 8: 8

”قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقُدَمَاءِ: ...“.

نَفْهَمُ مِنْ هَذَا أَنَّ التَّلَامِيذَ لَمْ يَكُونُوا يَفْرَأُونَ الْعِبْرِيَّةَ. فَقَدْ كَانُوا يَعْرِفُونَ مَا تَقُولُهُ الشَّرِيعَةُ مِنْ خِلَالِ تَعَالِيمِ الْكُتُبَةِ وَالْفَرِيسِيِّينَ. أَمَّا اللُّغَةُ الْعِبْرِيَّةُ فَكَانَتْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ تَقْتَصِرُ عَلَى رِجَالِ الدِّينِ الْيَهُودِيِّ. لِذَلِكَ، لَمْ يَكُنْ بَاسِطِطَاعَةِ التَّلَامِيذِ أَنْ يَفْرَأُوا الْأَسْفَارَ الْكِتَابِيَّةَ بِاللُّغَةِ الْعِبْرِيَّةِ. وَلِهَذَا السَّبَبِ، قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ ”قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقُدَمَاءِ“، وَبَعْدَ ذَلِكَ، يَذْكَرُ يَسُوعُ خَمْسَةَ مِنْ تَعَالِيمِ الْكُتُبَةِ وَالْفَرِيسِيِّينَ الْمُحْتَصَّةَ بِالشَّرِيعَةِ وَفَقًا لِتَفْسِيرِهِمْ لَهَا، وَفَقًا لِلطَّرِيقَةِ الَّتِي كَانُوا يُعَلِّمُونَهَا لِلنَّاسِ. وَقَدْ بَيَّنَّ يَسُوعُ فِي بَدَأِ الْأَمْرِ تَعَالِيمَ الْكُتُبَةِ وَالْفَرِيسِيِّينَ، ثُمَّ وَضَحَ مَا أَرَادَهُ اللَّهُ الْعَلِيِّ مِنْ هَذِهِ الشَّرَائِعِ. وَقَدْ كَانَ الْفَرْقُ الْأَسَاسِيُّ بَيْنَ مَا كَانَ الْكُتُبَةُ وَالْفَرِيسِيُّونَ يُعَلِّمُونَهُ لِلشَّعْبِ وَمَا قَصَدَهُ اللَّهُ الْحَيُّ يَتَرَكَّزُ فِي أَنَّهُمْ كَانُوا يُعَلِّمُونَ ذَلِكَ كَمَا لَوْ كَانَ شَيْئًا مَادِيًا يَنْبَغِي الْقِيَامُ بِهِ بِالْجَسَدِ. لَكِنَّ يَسُوعَ بَيَّنَّ أَنَّ الرَّبَّ الْإِلَهَ قَصَدَ التَّرْكِيزَ عَلَى الْجَانِبِ الرُّوحِيِّ الَّذِي يُؤَثِّرُ فِي مَوَاقِفِ الْإِنْسَانِ الرُّوحِيَّةِ. فَاللَّهُ صَاحِبُ الْجَلَالِ يَهْتَمُّ بِمَوَاقِفِنَا الْقَلْبِيَّةِ أَكْثَرَ مِنْ سُلُوكِيَّاتِنَا.

وَهُنَاكَ أَشْخَاصٌ فِي وَقْتِنَا الْحَاضِرِ يَهْتَمُّونَ بِأَعْمَالِهِمْ أَكْثَرَ مِنْ مَوَاقِفِهِمُ الْقَلْبِيَّةِ. لِذَلِكَ، يَجِبُ عَلَى هَؤُلَاءِ أَنْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ الْحَيَّ يَهْتَمُّ بِالمَوَاقِفِ الْقَلْبِيَّةِ الَّتِي تَتَّبَعُ مِنْهَا الْأَفْعَالُ. وَهَذَا يَعْنِي أَنَّ أَعْمَالَ الْمَرْءِ قَدْ تَقَعَّدُ بَرِيقَهَا وَمَعْرَازَهَا بِسَبَبِ مَوْقِفِ صَاحِبِهَا. فَعَلَى سَبِيلِ الْمِثَالِ، قَدْ يَقُومُ أَحَدُ الْأَشْخَاصِ بِأَعْمَالٍ كَثِيرَةٍ وَضَخْمَةٍ مِنْ أَجْلِ اللَّهِ فِي الْكَنِيسَةِ؛ لَكِنَّ دَوَافِعَهُ لَيْسَتْ نَقِيَّةً. فِي هَذِهِ الْحَالَةِ، لَنْ يَنْظُرَ اللَّهُ كُلِّي الْحِكْمَةِ إِلَى الْأَعْمَالِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي يَقُومُ بِهَا هَذَا الشَّخْصُ وَذَلِكَ بِسَبَبِ مَوْقِفِهِ الْقَلْبِيِّ الْخَاطِئِ. فَاللَّهُ الَّذِي لَيْسَ عَنْ فَهْمِهِ فَحْصٌ يُعْنَى بِمَوَاقِفِنَا أَكْثَرَ مِمَّا يُعْنَى بِأَفْعَالِنَا.

وَقَدْ كَانَ الْكُتُبَةُ وَالْفَرِيسِيُّونَ يُفَسِّرُونَ الشَّرِيعَةَ تَفْسِيرًا يَرْتَبُطُهَا بِأَعْمَالِ الْإِنْسَانِ. لَكِنَّ اللَّهَ السَّرْمَدِيَّ كَانَ يَقْرَأُ الشَّرِيعَةَ بِمَوَاقِفِ الْإِنْسَانِ الْقَلْبِيَّةِ. وَهَكَذَا، فَقَدْ كَانُوا يُفَسِّرُونَ الشَّرِيعَةَ بِطَرِيقَةٍ قَابِلَةٍ لِلتَّطْبِيقِ. لَكِنَّ اللَّهَ صَاحِبَ السُّلْطَانِ أَعْطَى الشَّرِيعَةَ لِلْحُكْمِ عَلَى ضَمِيرِ الْإِنْسَانِ وَإِظْهَارِ تَقْصِيرِهِ أَمَامَ اللَّهِ. لَكِنَّ بَدَلًا مِنْ أَنْ يَشْعُرَ الْكُتُبَةُ وَالْفَرِيسِيُّونَ بِأَنَّهُمْ خُطَاةٌ أَمَامَ اللَّهِ الْفُدُوسِ، وَعَوَضًا عَنْ أَنْ يَطْلُبُوا الْعُفْرَانَ مِنْهُ، فَقَدْ فَسَّرُوا الشَّرِيعَةَ بِطَرِيقَةٍ تُوحِي بِتَطْبِيقِهِمْ لَهَا. لِهَذَا، فَقَدْ كَانُوا يُبَالِغُونَ فِي إِظْهَارِ بَرِّهِمْ أَمَامَ النَّاسِ وَفِي انْتِقَادِ الْآخَرِينَ. فَقَدْ كَانَتْ طَرِيقَتُهُمْ فِي تَفْسِيرِ الشَّرِيعَةِ تَرْمِي إِلَى إِظْهَارِ بَرِّهِمْ وَتَقْوَاهُمْ أَمَامَ النَّاسِ. وَهَذَا هُوَ مَا جَعَلَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَى الْآخَرِينَ بِتَكَبُّرٍ.

وَقَدْ بَيَّنَّ يَسُوعُ ذَلِكَ بِوُضُوحٍ مِنْ خِلَالِ الْمَثَلِ الَّذِي ضَرَبَهُ عَنِ الْفَرِيسِيِّ وَالْعَشَّارِ.⁶ فَقَدْ وَقَفَ الْفَرِيسِيُّ يُصَلِّي هَكَذَا فِي الْهَيْكَلِ: ”اللَّهُمَّ أَنَا أَشْكُرُكَ أَنِّي لَسْتُ مِثْلَ بَاقِي النَّاسِ ...“ . وَهَكَذَا، فَقَدْ رَاحَ الْفَرِيسِيُّ يُخْبِرُ اللَّهَ الْحَيَّ عَنْ جَمِيعِ الْأَعْمَالِ الْحَسَنَةِ الَّتِي يَقُومُ بِهَا. أَمَّا الْعَشَّارُ فَوَقَفَ مِنْ بَعِيدٍ، لَا يَسَاءُ أَنْ يَرْفَعَ عَيْنَيْهِ نَحْوَ السَّمَاءِ، بَلْ قَرَعَ عَلَى صَدْرِهِ قَائِلًا: ”اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي، أَنَا الْخَاطِئُ“. وَقَدْ قَالَ يَسُوعُ إِنَّ الْعَشَّارَ مَضَى إِلَى بَيْتِهِ مُبْرَّرًا. أَمَّا الْفَرِيسِيُّ، فَقَدْ كَانَتْ صَلَاتُهُ

⁶ إنجيل لوقا 18: 14.

فَارْعَهُ جَوْفَاءَ فِي نَظَرِ اللَّهِ الْفَاحِصِ الْقُلُوبِ. لِمَاذَا؟ لِأَنَّ الْكُتْبَةَ وَالْفَرِيسِيِّينَ كَانُوا يُفَسِّرُونَ الشَّرِيعَةَ تَفْسِيرَاتٍ خَاطِئَةً تُحَاكِي سُلُوكِيَّاتِ الْإِنْسَانِ لَا دَوَافِعَهُ الدَّاخِلِيَّةَ.

وَبِهَذَا، فَقَدْ أَظْهَرَ يَسُوعُ النَّبَائِينَ بَيْنَ مَا كَانَ الْكُتْبَةُ وَالْفَرِيسِيُّونَ يُعَلِّمُونَهُ، وَبَيْنَ الْقَصْدِ الْأَصْلِيِّ لِلشَّرِيعَةِ وَفَقَا لِحُطَّةِ اللَّهِ الْعَلِيِّ الْقَدِيرِ. فَعِنْدَمَا تُدْرِكُ الْقَصْدَ الْإِلَهِيَّ لِلشَّرِيعَةِ، سَتُدْرِكُ أَنَّنَا أخطأنا جَمِيعًا وَأَعْوَزْنَا مَجْدُ اللَّهِ.

[الخاتمة]

(مُقَدِّمُ الْبَرْنَامِجِ)

صَاحِبُ أَنْ "صَوْتِ الْأَفْعَالِ أَعْلَى مِنْ صَوْتِ الْأَقْوَالِ"، (كَمَا يَقُولُ الْمَثَلُ). لَكِنْ إِذَا كُنْتَ تَابِعًا لِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، لَا تَنْسَ أَهْمِيَّةَ دَوَافِعِكَ أَيْضًا. فَكَمَا بَيَّنَّ لَنَا الرَّاعِي "تَشْكُ سَمِيثُ"، الْيَوْمَ، فَإِنَّ الْقِيَامَ بِالصَّوَابِ يَكُونُ مُهِمًّا فِي نَظَرِ اللَّهِ الْعَلِيِّ عِنْدَمَا يَنْبَغُ مِنْ دَوَافِعِ طَاهِرَةٍ قَائِمَةٍ عَلَى إِرْشَادِ الرُّوحِ الْقُدُّوسِ.

بَعْدَ قَلِيلٍ، سَوْفَ يَعُودُ الرَّاعِي "تَشْكُ"، بِكَلِمَةِ خِتَامِيَّةٍ.

(مُقَدِّمُ الْحَلَقَةِ)

فِي الْحَلَقَةِ الْقَادِمَةِ مِنْ بَرْنَامِجِ "الكَلِمَةُ لِهَذَا الْيَوْمِ"، سَوْفَ يُتَابِعُ الرَّاعِي "تَشْكُ سَمِيثُ"، تَفْسِيرَهُ لِلْعِظَةِ عَلَى الْجَبَلِ مَعَ التَّرْكِيزِ عَلَى بَعْضِ التَّعَالِيمِ الَّتِي عَلَّمَهَا يَسُوعُ لِتَلَامِيذِهِ. لِذَلِكَ، أَرْجُو، صَدِيقِي الْمُسْتَمِعُ، أَنْ تَكُونَ بِرَفَقَتِنَا وَأَنْ تَسْتَمِعَ إِلَيْنَا فِي الْحَلَقَةِ الْقَادِمَةِ.

وَالآنَ، نَشْرُكُكُمْ أَعْزَاءَنَا الْمُسْتَمِعِينَ مَرَّةً أُخْرَى مَعَ كَلِمَةِ خِتَامِيَّةٍ عَلَى فَمِ الرَّاعِي "تَشْكُ سَمِيثُ".

[كَلِمَةُ خِتَامِيَّةٍ]

(الرَّاعِي تَشْكُ سَمِيثُ)

يَا لِأَهْمِيَّةِ الدَّورِ الَّذِي يَنْبَغِي لِلْكَنِيسَةِ أَنْ تَقُومَ بِهِ فِي هَذَا الْعَالَمِ الْمُظْلَمِ الَّذِي نَعِيشُ فِيهِ الْيَوْمَ! فَأَنْتَ، صَدِيقِي الْمُؤْمِنُ، النُّورُ الْوَحِيدُ وَالرَّجَاءُ الْوَحِيدُ! فَعِنْدَمَا وَقَفَ الرَّسُولُ بُولُسُ أَمَامَ الْمَلِكِ أَغْرِيْبَاسِ وَأَخْبَرَهُ عَنْ حَادِثَةِ اهْتِدَائِهِ لِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، قَالَ لِلْمَلِكِ إِنَّ الرَّبَّ يَسُوعَ دَعَاهُ لِإِنْقَادِ الْأَمَمِ مِنْ سُلْطَانِ الظُّلْمَةِ وَجَلْبِهِمْ إِلَى مَلَكُوتِ النُّورِ. وَهَذِهِ هِيَ دَوْمًا إِرْسَالِيَّةُ الْكَنِيسَةِ: أَنْ تَفْتَحَ عَيْونَ النَّاسِ كَيْ يَرْجِعُوا مِنَ الظُّلْمَةِ إِلَى النُّورِ، وَمِنْ سُلْطَانِ الشَّيْطَانِ إِلَى سُلْطَانِ اللَّهِ الْمُنْعِمِ حَتَّى يَنَالُوا غُفْرَانَ الْخَطَايَا وَنَصِيبًا مَعَ الْمُقَدَّسِينَ. لِذَلِكَ، فَإِنَّ الرَّبَّ يَسُوعَ يَقُولُ مُخَاطِبًا جَمِيعَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِهِ رَبًّا وَمُخْلِصًا لِحَيَاتِهِمْ: "أَنْتُمْ نُورُ الْعَالَمِ!"

(مُقَدِّمُ الْبَرْنَامِجِ)

هَذَا الْبَرْنَامَجَ بِرِعَايَةِ (THE WORD FOR TODAY) فِي "كُوسْتَا مِيْسَا" بُولَايَةِ
كَالِيْفُورْنِيَا.